مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

المحور ١ - البحث ٥

مفهوم الجاهلية وعلاقته بالتكفير

دراسة تقويمية

أحمد بوعود

أستاذ الفلسفة والفكر الإسلامي

أكاديمية تطوان

مقدمة

عاشت الأمة الإسلامية سنوات في حضن التربية النبوية والعناية الراشدة، لكنها مرت بعد ذلك تحولات خطيرة كادت تعصف بوحدتها. واستمر الحال هكذا قرونا كثيرة كان الانحطاط عنوانها، والفجوة بين الشريعة وواقعها سمتها، وإن كانت المجتمعات الإسلامية، عموما، لم تعدم الخير والعقيدة الصالحة، يتجلى ذلك في السلوك العام للمسلمين.

وقد أذهل هذا الواقع كثيرا من الدعاة والمفكرين والعلماء فهبوا يريدون إصلاحه وتغييره انطلاقا من غيرتهم على دينهم ووفاء لنبيهم ﷺ، وامتثالا لقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤). ومادام التغيير والإصلاح لا يكونا إلا بعد تشخيص للواقع المراد تغييره، فإن كثيرين منهم عندما درسوا الواقع المعقد والمتشابك لم يجدوا وصفا يصفونه به غير "الجاهلية"، معتبرين أن المجتمعات الإسلامية المعاصرة تعيش جاهلية لا تختلف عن الجاهلية التي عاشها العرب قبل الإسلام.

إن من شأن هذا الوصف، أو الحكم، أن يقود إلى تكفير المجتمع، وأن يُجري على المسلمين ما أُجري على الكفار والمشركين معاصري الوحي. وعليه، كان الحكم بالجاهلية على المسلمين طريقا سهلا إلى التكفير والتطرف والعنف.

أولا: أهمية البحث:

إن الباحث في المكتبة الإسلامية لا يجد دراسات كافية تربط بين مفهوم الجاهلية والتكفير. بل إن البحث في قضية التكفير يغفل مسألة وصف المجتمعات الاسلامية بالجاهلية وتأثيرها في الحكم بالتكفير عليها. ومما

يؤسف له وجود كثير من الدعاة لا يدركون عواقب إطلاق وصف الجاهلية على الناس والمجتمعات الإسلامية، ويحتجون لذلك بآراء علماء محققين كابن تيمية رحمه الله مثلا. وهي في واقع الأمر بعيدة عما يقصدون كما سيبين البحث.

لذا فإن البحث يعتزم بيان الارتباط بين وصف المجتمعات الاسلامية بالجاهلية والتكفير الذي يلجأ إليه كثير من الأفراد، وكذلك بعض التنظيمات الدعوية[1].

ثانيا: منهج البحث:

إن بحث موضوع العلاقة بين مفهوم الجاهلية والتكفير يقتضي منهجا ذا بعدين:

- بعد تحليلي: أحلل فيه الآراء الواردة في الموضوع، والمتعلقة بمفهوم الجاهلية؛ وذلك بالبحث عن أصل المفهوم وجذوره، وتتبع هذا المفهوم عند بعض رواد الحركة الإسلامية والآثار المترتبة عن القول به.
- بعد تقويمي: أقوّم فيه مسألة وصف المجتمعات الإسلامية بالجاهلية، ببيان ارتباط القول بالجاهلية بالتكفير، واستعراض آراء بعض العلماء التي تبين خطر هذا القول.

ثالثا: خطة البحث:

إن المنهج السابق ذكره فرض على الباحث خطة تتكون من مباحث ثلاثة بعد المقدمة:

١- معنى الجاهلية في اللغة والقرآن الكريم والسنة النبوية.

٢- مفهوم الجاهلية والتكفير: عرض نماذج وتحليلها.

(١) الدعوة الإسلامية رسالة الأنبياء وأتباعهم وأهل الخبرة والصلاح والحق والعلم في كل زمان ولا ينبغي ربط ظاهرة التكفير بها ولا لصقها بها، لأن الغالب في المكفرين جهل بطريقة السلف.

٣- هل يصح وصف المجتمعات المعاصرة بالجاهلية ؟

ثم خاتمة (تتضمن نتائج البحث والتوصيات)

والله يهدي إلى الصواب

-١-

معنى الجاهلية في اللغة والقرآن الكريم والسنة النبوية

يعرض هذا المبحث لمصطلح الجاهلية كما ورد في اللغة وفي القرآن الكريم. وسيتم ذلك من خلال بحث المعاني اللغوية لمادة "جهل" في اللغة، أولا، ثم البحث عن مادة "جهل" في القرآن الكريم، ثانيا، ثم الوقوف مع مصطلح الجاهلية في القرآن الكريم والحديث الشريف، ثالثا.

- مادة "جهل" في اللغة والقرآن الكريم:

جاء في مقاييس اللغة: "الجيم والهاء واللام أصلان: أحدهما خِلاف العِلْم، والآخر الخِفّة وخِلاف الطُّمَأْنِينة"(١).

وفي لسان العرب: "الجَهْل: نقيض العِلْم، وقد جَهِله فلان جَهْلاً وجَهَالة، وجهِلَ عليه...

وتَجَاهل: أَظهر الجَهْل. قال الجوهري: تَجَاهَل أَرَى من نفسه الجَهْل وليس به، واسْتَجْهَله: عَدَّه جاهِلاً واسْتَخَفَّه أَيضاً...

والجَهَالة: أَن تفعل فعلاً بغير العِلْم... ورجل جاهِلٌ والجمع جُهْلٌ وجُهُلٌ وجُهَّل وجُهَّال وجُهَلاء... ورجل جَهُول: كجاهِل، والجمع جُهُل وجُهْل...

والمجْهَلة ما يحملك على الجَهْل؛ ومنه الحديث: "الولد مَبْخَلة مَجْبَنة

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) مادة "جهل".

مَجْهَلة..."[1].

والجاهِلِيَّة زمن الفَتْرة ولا إسلامَ؛ وقالوا الجاهِلِيَّة الجَهْلاء، فبالَغوا "[2].

وقال ابن خالويه: "الجاهلية لفظ حدث في الإسلام للزمن الذي قبل البعثة"[3].

وفي القرآن وردت مادة "جهل" بصيغ متعددة:

على هيأة فعل "تجهلون" و"يجهلون":

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (الأنعام: ١١١).

على هيأة اسم فاعل "جاهل، جاهلون":

كقوله تعالى ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ (الزمر ٦٤).

على هيأة اسم صيغة مبالغة "جهول" لاسم فاعل "جاهل":

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الامَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الانسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا ﴾ (الأحزاب: ٧٢).

على هيئة اسم "جهالة":

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٧).

---

(١) محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠)، رقم ٥٢٨٤، ٣٣٥/٣.

(٢) ابن منظور، لسان العرب (دار صادر، بيروت، د.ت) مادة "جهل".

(٣) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق أحمد جاد المولى بك وغيره، (دار التراث، القاهرة، ط٣، د.ت) ٣٠١/١.

١- معنى الجاهلية في القرآن الكريم:

يتحدد معنى الجاهلية في القرآن الكريم بأربع صفات هي: ظن الجاهلية، وحكم الجاهلية، وتبرج الجاهلية، وحمية الجاهلية. ونجدها في أربع آيات من السور المدنية. ومن المفيد جدا أن نقول كلمة موجزة عنها حتى نتبين حقيقة المقصود بالجاهلية في القرآن الكريم.

ظَنّ الجاهلية:

يقول الله تعالى: ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الامْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ (آل عمران: ١٥٤).

والمقصود بظن الجاهلية "التكذيب بالقدر، وذلك أنهم تكلموا فيه"[١]. وذلك أن أبا طلحة[٢] رضي الله عنه قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد، فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه، قال: والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم، أجبن قوم وأرعنه، وأخذله للحق يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ كذبة، أهل شك وريب في الله عز وجل[٣].

هذا الظن ناتج عن ضعف الإيمان في النفوس وغياب العقيدة الصحيحة، ويعني عدم الثقة في الله وفيما عنده، وعدم قدرة الإنسان على التدبر في هذا

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (دار الفكر، د.ت) ٤/٢٣٠.

(٢) هو أبو طلحة الأنصاري صاحب رسول الله ومن بنى أخواله وأحد أعيان البدريين وأحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة واسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن النجار الخزرجي. وهو ممن شهد العقبة وبدرا. مات بالمدينة وصلى عليه عثمان في سنة ٣٤ رضي الله عنهم. ينظر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢-٢٠٠١) ٢/٢٧.

(٣) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، (دار طيبة، ١٤٢٢-٢٠٠٢) ٢/١٤٦.

الكون للتعرف على خالقه وإدراك مصيره بعد هذه الدنيا.

حُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ:

يقول الله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة: ٥٠).

إن أهل الجاهلية كانوا يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضيع، وكانت اليهود تقيم الحدود على الضعفاء الفقراء، ولا يقيمونها على الأقوياء الأغنياء؛ فضارعوا الجاهلية في هذا الفعل.

ويوضح ابن عاشور[1] رحمه الله حكم الجاهلة قائلا: "وحكم الجاهلية هو ما تقرر بين اليهود من تكايل الدماء الذي سرى إليهم من أحكام أهل يثرب، وهم أهل جاهلية، فإن بني النضير لم يرضوا بالتساوي مع قريظة كما تقدم؛ وما وضعوه من الأحكام بين أهل الجاهلية، وهو العدول عن الرجم الذي هو حكم التوراة"[2].

أمام الإنسان تحكيم حكم الله عز وجل، أو تحكيم هواه. ولا يخفى ما بينهما من فروق واضحة بينة. فتحكيم الهوى إنما هو الاستبداد والضلال والانحراف عن الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها. أما تحكيم أمر الله فإنما يعني العدل والرحمة بالإنسان في الدنيا، فضلاً عن الفوز في الآخرة.

تَبَرُّجُ الْجَاهِلِيَّةِ:

يقول الله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾

(١) هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦هـ- ١٨٧٩م)، الشهير بالطاهر بن عاشور، تونسي، صاحب التفسير العظيمّ "التحرير والتنوير" و"مقاصد الشريعة". تولى مشيخة جامع الزيتونة والجامعة التونسية، ورئاسة المجلس الشرعي لعلماء المالكية. اهتم كثيرا بقضايا إصلاح المجتمع والتعليم. ينظر: بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الأعظم.. محمد الطاهر ابن عاشور.. حياته وآثاره، (دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧-١٩٩٦) ص١٥-٦٧.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (دار سحنون، تونس،د.ت) ٢٢٨/٦.

(الأحزاب: ٣٣).

اختلف الناس في الجاهلية الأولى[١]، واختار الطبري رحمه الله أن يقال: "إن الله تعالى ذكره نهى نساء النبي أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى، فيكون معنى ذلك: ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام"[٢].

حَمِيَّةُ الجَاهِلِيَّة:

يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الفتح: ٢٦).

وذلك حين جعل سهيل بن عمرو[٣] في قلبه الحمية، فامتنع أن يكتب في كتاب المقاضاة الذي كتب بين يدي رسول الله ﷺ والمشركين: بسم الله الرحمن الرحيم، وأن يكتب فيه: "محمد رسول الله"، ومنع هو وقومه دخولَ رسول الله ﷺ عامه ذلك.

والحمية، كما يوضح ابن عاشور، "الأنفة، أي الاستنكاف من أمر لأنه يراه غضاضة عليه وأكثر إطلاق ذلك على استكبار لا موجب له فإن كان لموجب فهو إباء الضيم"[٤].

٢- معنى الجاهلية في الحديث الشريف:

تتحدد الجاهلية في حديث النبي ﷺ في الخصال الآتية: الفخر في

(١) ينظر تفسير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، (دار المعارف، مصر) ٢٠/٢٦٠-٢٦١.

(٢) نفسه ٢٠/٢٦١.

(٣) هو سهيل بن عمرو، ويكنى أبا يزيد، كان خطيب قريش وفصيحهم، ومن أشرافهم. وهو الذي فاوض النبي ﷺ في صلح الحديبية. أسلم يوم فتح مكة فأصبح كثير الصيام والصدقة والبكاء. استشهد في اليرموك سنة ١٥هـ. ينظر سير أعلام النبلاء، ١/١٩٥.

(٤) التحرير والتنوير، ٢٧/١٩٣.

الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، والدماء، والربا، كما يوضحها الحديثان الآتيان:

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الاشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ"، وَقَالَ: "النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ"[1].

وقال رسول الله ﷺ في حجة الوداع يوضح اندثار بقايا الجاهلية: "ألاَ كلُّ شيء من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوعٌ، ودماءُ الجاهلية موضوعة، وإن أول دمٍ أضع من دمائنا دمُ ابن ربيعة بن الحارث وكان مسترضعًا في بني سعد، فقتلتْه هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربًا أضع من ربانا ربا عباس بن عبدالمطلب، فإنه موضوعٌ كله"[2].

كما نجد ذكر الجاهلية في حديث النبي صلى ﷺ الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجاهلية وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ"[3].

ومنه أيضا مخاطبته ﷺ لأبي الدرداء قائلا: "إنَّك امرؤ فيك جاهليَّة"[4]، لأنه عير بلالا رضي الله عنه بأمه.

(١) رواه مسلم في الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت)كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، رقم ٩٣٤.

(٢) رواه مسلم في الصحيح. كتاب الحج، باب حجة النبى ﷺ، حديث ١٢١٨.

(٣) محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت) كتاب المناقب، باب في فضل الشام واليمن، رقم ٣٩٥٣.

(٤) رواه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب نذر الكافر وما يفعل فيه إذا أسلم، حديث ١٦٦١.

كما أن رسول الله ﷺ توعد من يحيي سنة من سنن الجاهلية ببغض الله تعالى في قوله:"أبغض النَّاس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سنَّة جاهلية، ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه"[1].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "والجاهلية ما كان قبل الإسلام"[2].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين[3] رحمه الله: "المراد بالجاهلية ما قبل البعثة؛ لأن الناس كانوا فيها على جهل عظيم، فجهلهم شامل للجهل في حقوق الله، وحقوق عباده"[4]. وقال: "والنياحة من أمر الجاهلية، ولابد أن تكون في هذه الأمة، وإنما كانت من أمر الجاهلية إما من الجهل الذي هو ضد العلم، أو من الجهالة التي هي السفه، وهي ضد الحكمة. فمن جهلهم أنهم ينصبون النصب ويعبدونها من دون الله، ويقتل أحدهم ابنته لكي لا يعيّر بها ويقتل أولاده من ذكور وإناث خشية الفقر"[5].

هكذا إذن تتحدد صفات الجاهلية في القرآن الكريم والحديث الشريف، وهي صفات كلها تشترك في المعاني التي تدل عليها مادة "جهل" في اللغة.

(١) رواه البخاري في الصحيح، (بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، ١٤١٩-١٩٩٨)، كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق، رقم ٦٨٨٢.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (دار الريان، بيروت، ١٤٠٧) ١٠ / ٤٦٨.

(٣) هو محمد ابن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل عثيمين (١٣٤٧هـ-1421 هـ). كان عالما محققا وفقيها ومفسّرا، ورعا زاهدا. اشتغل بالتدريس والتأليف والإمامة والخطابة والإفتاء والدعوة. كان عضوًا في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، ونال جائزة الملك فيصل رحمه الله العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ. ينظر موقع الشيخ رحمه الله على شبكة الأنترنيت: www.ibnothaimeen.com.

(٤) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين، جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان، (دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩-١٩٩٨) ٦٠١/١٠.

(٥) نفسه ٦٠٣/١٠.

—٢—

مفهوم الجاهلية والتكفير: عرض وتحليل

يحاول هذا المبحث بحث تداول مفهوم الجاهلية في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر وكيف اكتمل مفهوما يعني الواقع المعاصر أكثر مما يعني واقع ما قبل الإسلام، سواء للمجتمعات الغربية غير الإسلامية، أو الإسلامية. كما يحاول هذا المبحث أن يبين كيف أدى القول بالجاهلية، عند بعض الدعاة الإسلاميين في العصور الحديثة، إلى تكفير الناس والمجتمع. وسيكون هذا من خلال الوقوف مع أهم من اهتم به واستعمله.

١– ابن تيمية[١] رحمه الله: الجاهلية المطلقة والجاهلية المقيدة:

نبدأ مع ابن تيمية رحمه الله، فهو من أوائل من اهتم بالمفهوم في القرون المتأخرة. ويبدو أن من أتى بعده بنى على ما توصل إليه، إلا أن ابن تيمية رحمه الله يميز بين نوعين من الجاهلية بعد بعثة النبي ﷺ:

- "جاهلية مطلقة: قد تكون في مصرٍ دون مصر كما هي في دار الكفَّار، وقد تكون في شخصٍ دون شخصٍ كالرَّجُل قبل أن يسلم، فإنَّه يكون في جاهليَّة وإن كان في دار الإسلام"[٢].
- "جاهليَّة مقيَّدة: قد تقوم في بعض دِيار المسلمين وفي كثيرٍ من المسلمين"[٣].

إن ابن تيمية رحمه الله يرى أن قبل مبعث الرسول ﷺ كان الناس في حال

(١) هو أحمد تقي الدين أبو العباس بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٦٦١هـ–٧٢٨هـ) مجتهد ومجدد، برز في مختلف العلوم، وخلف مكتبة علمية تشهد على بحر علمه وذكائه. ينظر على سبيل المثال: محمد أبو زهرة، ابن تيمية حياته وعصره، آراؤه وفقهه، (دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت).

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق ناصر بن عبد الكريم العقل، (مكتبة الرشد، الرياض، د.ت)، ١/ ٢٣٠.

(٣) نفسه.

جاهليَة عامة لما كانوا عليه من الأقوال والأفعال، وكذلك كل ما يُخالف ما جاء به المرسلون من يهوديَّة ونصرانيَّة فهو جاهليَّة.

لقد تبنى هذا التقسيم كثير من الدعاة والمفكرين والعلماء من غير أن يصل بهم طبعا إلى التكفير. لكن تطور المفهوم بعد ابن تيمية رحمه الله لم يقف عند هذا الحد كما سنرى لاحقا. لكن، مع هذا التمييز فإنه يقر أن لا جاهلية مطلقة بعد مبعث النبي ﷺ. يقول رحمه الله: "فأما في زمان مطلق: فلا جاهلية بعد مبعث محمد ﷺ، فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين، على الحق، إلى قيام الساعة"[1].

٢- محمد بن عبد الوهاب[2]: مسائل الجاهلية:

استفاد الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من كتاب ابن تيمية السابق اقتضاء الصراط المستقيم وكتب مذكرة مسائل الجاهلية، وقد عد مائة مسألة قال عنها: "هذه مسائل خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأميين، مما لا غناء لمسلم عن معرفتها.

وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الاشْيَاءُ، وأهم ما فيها (يقصد مسائل الجاهلية) وأشده خطرا عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فإن انضاف إلى ذلك استحسان دين الجاهلية والإيمان به تمت الخسارة والعياذ بالله تعالى، كما قال عز ذكره: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ

(١) نفسه ١/٢٣١.

(٢) هو الشيخ المجتهد المجدد محمد بن عبد الوهاب، (١٢٦٠هـ- ١١١٥هـ) قام يرشد الناس إلى توحيد الله، منكرا ما أدخلوا فيه من البدع والخرافات، آمرا إياهم بالمعروف وناهيا لهم عن المنكر، كما دعا إلى الاجتهاد ونبذ التقليد. خلف مكتبة ضخمة علمية دعوية عقدية. ينظر على سبيل المثال: أمين سعيد، سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب، (شركة التوزيع العربية، ط١، بيروت).

وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (العنكبوت: ٥٢)"[١].

وقد أحصى فيها رحمه الله كثيرا من مظاهر البدع والانحرافات العقدية ومخالفات الشرع التي كانت سائدة في عصره؛ وكأنه هنا يصف ما يراه بالجاهلية. وهذا ما أكده ناشر الكتاب محب الدين الخطيب رحمه الله بقوله: "هذه أمراض رآها مؤلف أصل هذا الكتاب موجودة في قومه وفي بلاده، ورأى السنة المحمدية تدور حول تطهير الإنسانية من هذه الشوائب، فقال في نفسه: "إذن نحن في مثل ما كانت عليه أهل الجاهلية". حينئذ عاهد ربه على أن يعلن الحرب على هذه الأمراض وأن يداويها بالطب النبوي من كتاب الله وسنة رسوله"[٢].

مع إحصاء هذه المسائل وعدها من الجاهلية فإن ابن عبد الوهاب رحمه الله لا يطلق وصف الجاهلية على المجتمعات الإسلامية، ولا يكفر أحدا من المسلمين.

٣- المودودي[٣] والجاهليات الثلاث:

- يرى أبو الأعلى المودودي رحمه الله أن نظم الحياة لا تخرج عن النظريات الأربع الآتية:
- الجاهلية المحضة: وتعني أن "نظام هذا العالم كله حادث قد حدث

(١) محمد بن عبد الوهاب، مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية، توسع فيها محمود شكري الالوسي، (المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧) ص ١٠.

(٢) نفسه ص ٦.

(٣) هو المفكر الإسلامي والداعية المجاهد أبو الأعلى المودودي (١٩٠٣م- ١٩٧٩م)، من باكستان. تصدى للفكر الغربي على الإسلام وانتقد الحضارة الغربية. اختير أميرا للجماعة الإسلامية بباكستان عند تأسيسها عام ١٩٤١، وهي دعوة عالمية شاملة تهدف إلى تحكيم الإسلام في مختلف مجالات الحياة. ينظر أليف الدين الترابي، أبو الأعلى المودودي، عصره حياته دعوته، (دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٠٧-١٩٨٧) ص ١١٥ وما بعدها.

مصادفة، فليس وراءه من حكمة تدبره أو غاية مصطلحة تسير دفته"[1].

- جاهلية الشرك: وتعني أن "لا ريب أن هذا الكون لم ينبعث مصادفة ولا هو قائم بدون إله، إلا أنه ليس له إله واحد، بل آلهة متعددة"[2].
- جاهلية الرهبانية: ويوضحها بكون الوجود الإنساني في هيكل جسدي ما هو "إلا كالأسير حبس في السجن جزاء ما قدمت يداه. وأما اللذات والرغبات وجميع ما يمس الإنسان من الحوائج لعلاقة روحه بالجسم، فهي في نفس الأمر أغلال هذا السجن وسلاسله. وكلما ازداد الإنسان تعلقا بهذه الدنيا وما فيها من تمتع العيش ولذاته ازداد تلوثه بالرجس والنجس... فلا سبيل إذن لنجاة المرء في مآل أمره إلا أن ينقطع عن مشاغل هذه الحياة، ويذلل الرغبات ويجتنب اللذات"[3].
- الإسلام: "إن هذا الكون الواسع هو في حقيقة الأمر مملكة مليك مقتدر، هو الذي قد أعطاها الحق وهو مالكها الوحيد وحاكمها الفرد بلا شريك"[4].

فما الذي ينطبق على واقع المسلمين من هذه النظريات الأربع ؟

يردنا المودودي رحمه الله إلى التاريخ، ليدلنا على انبعاث الجاهلية بعد الإسلام. هذا الانبعاث متمثل في لحظة حكم معاوية بن أبي سفيان حيث انقلبت الخلافة إلى ملك عاض، أي لحظة وقوع انكسار تاريخي للأمة الإسلامية. وهذا فعلا ما أخبر به النبي ﷺ حين قال: "تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ

(١) أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ الدين وإحيائه، ترجمة محمد كاظم سياق، (دار الفكر الحديث، لبنان، ط٢، ١٣٨٦–١٩٦٧) ص ١٨.
(٢) نفسه ص ٢٢.
(٣) نفسه ص ٢٨.
(٤) نفسه ص ٣٣.

النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّه أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيّاً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ سَكَتَ"[1].

هذا الحديث يبين بالترتيب مع التراخي في الزمن المراحل التي تمر منها الأمة الإسلامية، وهي ولاشك مراحل مختلفة متتابعة، تتميز كل واحدة عن التي تليها تميزا على جميع المستويات، سواء في علاقة الحاكم بالمحكوم، أو علاقة الحكم بالإسلام، أو في علاقة الدنيوي بالأخروي...

ويؤكد هذا التحول ويبين خطره حديث النبي ﷺ: "ليُنقضَنَّ عُرَا الإسلام عِروةً عُروة، فكلما انتقضت عُروةٌ، تشبَّثَ الناسُ بالتي تليها، وأولهُنَّ نقضاً الحُكم، وآخِرُهنَّ الصلاة"[2].

لكن أشد ما في هذا الانقلاب وأخطره، في نظر المودودي رحمه الله، هو أن الجاهلية جاءت بأنواعها الثلاثة، التي سبق ذكرها، لابسة لباس الإسلام، "وجعلت تتأصل في المجتمع العربي الإسلامي وتتمشى فيه وغدت آثارها تزداد انتشارا على مرور الأيام"[3].

فكيف تجلت هذه الجاهليات الثلاث ؟

كانت مرحلة النبوة والخلافة الراشدة في نظر المودودي مرحلة الإسلام،

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ) وخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة تحت رقم ٥ وعلق رحمه الله قائلا: "ومن البعيد عندي حمل الحديث على عمر بن العزيز لأن خلافته كانت قريبة العهد بالخلافة الراشدة ولم يكن بعد ملكان ملك عاض وملك جبرية، والله أعلم".

(٢) مسند الإمام أحمد ٢٢٢١٤، ٢٥١/٥. وقال الألباني: حديث صحيح. (ينظر الألباني: صحيح الترغيب، (مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢١) حديث رقم ٥٧٢، وصحيح الجامع، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨) حديث رقم ٥٠٧٥).

(٣) موجز تاريخ الدين وإحيائه، ص ٤٥.

لكن بعدها دخلت الجاهلية بأنواعها الثلاثة. "فأما الجاهلية المحضة فعمدت إلى الدولة والحكومة فهيمنت عليها وانقلبت الخلافة قيصرية جاء الإسلام يقطع دابرها، ولم يبق فيها من الخلافة إلا اسمها. ولما كان اعتقاد الألوهية للملوك لم يعد يتجاسر عليه أحد فاحتالوا بأخذهم بالأثر المروي "السلطان ظل الله" وتبوأ الملوك والأمراء بهذه الحيلة منزلة المطاع المطلق التي هي خاصة للإله. واسترسل الأمراء والحكام والولاة ورجال الجيش والمترفون إلى الجاهلية المحضة في ظل هذه الملكية، وتأثرت حياتهم –في قليل أو كثير– بوجهة نظرها وفسدت أخلاقهم ومعيشتهم بعاهتها. وكان من الطبيعي أن يصحب ذلك كله رواج فلسفة الجاهلية وآدابها وفنونها"[1].

وأما جاهلية الشرك، في نظر المودودي رحمه الله، فقد وثبت على عامة الناس وعدلت بهم عن جادة التوحيد إلى مهاوي الضلال، والمسلمون "وإن لم يرجعوا إلى الوثنية الصريحة إلا أنه لم تبق صورة من صور الشرك لم ترج في مجتمعه رواجا"[2].

أما الجاهلية الثالثة، وهي جاهلية الرهبانية، فقد أصابت بحملتها العلماء والمشايخ وأهل الزهد والورع بأنَّةً فيها مساوئها. "ومن جراء هذه الجاهلية فشا في المجتمع الإسلامي ما فشا من الفلسفة الإشراقية ونظام الأخلاق الرهباني... ثم شد أزر نظام الملكية الجاهلية وضرب العلوم والفنون الإسلامية بالعقم والجمود وضيق النظر وجاء يحصر جماع الدين في عدد من الأعمال الدينية المعينة"[3].

من هنا نستنتج أن الجاهلية في نظر المودودي ظهرت مبكرا، منذ القرن

(١) نفسه ص ٤٦.
(٢) نفسه ص ٤٧.
(٣) نفسه ص ٤٨–٤٩.

الأول الهجري. لذا دعت الحاجة في نظره إلى ظهور مجددين. لكن هذه الجاهلية لم تتوقف، وإنما استمرت وانضافت إليها جاهلية أخرى مصدرها الغزو الغربي. وهكذا أصبحت المجتمعات الإسلامية تعانق جاهليتين: الجاهلية التي سبق الحديث عنها، وجاهلية أخرى مستوردة من المجتمعات الغربية.

٤- سيد قطب[١]: الجاهلية وبوادر تكفير المجتمع:

استفاد سيد قطب رحمه الله من تراث السابقين، وطور فكرة الجاهلية أكثر مما كانت عليه. وهناك من يرى أن تجربة السجن التي عاشها كانت زاده للمضي قدما في سلوك هذا الطريق. وهكذا قال: " نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم. كل ما حولنا جاهلية. تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم، موارد ثقافتهم، فنونهم وآدابهم، شرائعهم وقوانينهم. حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية، ومراجع إسلامية، وفلسفة إسلامية، وتفكيرا إسلاميًا.. هو كذلك من صنع هذه الجاهلية !!"[٢].

ويدخل سيد قطب في إطار المجتمع الجاهلي "تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة، لا لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله، ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله، ولكنها تدخل في هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها"[٣].

(١) هو سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (١٣٢٤/١٩٠٦- ١٣٨٦/١٩٦٦) أديب ومنظر إسلامي مصري، انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين وكان عضوا في مكتب إرشادها ورئيسا لقسم نشر الدعوة بها، كما ترأس تحرير جريدة الإخوان المسلمون. سجن وأعدم على يد الرئيس المصري جمال عبد الناصر. خلف مجموعة من المؤلفات في الأدب والدعوة أهما تفسير في ظلال القرآن الذي كتبه في السجن. ينظر: شريف يونس، سيد قطب والأصولية الإسلامية (دار طيبة للدراسات والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٥) ص ١٧ وما بعدها.

(٢) سيد قطب، معالم في الطريق (دار الشروق، بيروت، ١٩٩٣) ص ١٠٠.

(٣) معالم في الطريق ص ١٠١.

من هنا يرى ضرورة التخلص من ضغط المجتمع الجاهلي والتصورات الجاهلية والتقاليد الجاهلية والقيادة الجاهلية، وعدمَ الصلح معها إطلاقا.

فما العمل ؟ يقترح سيد قطب رحمه الله هنا تغيير نفوسنا وتغيير واقع هذا المجتمع الجاهلي من أساسه. مهمتنا هي تغيير هذا الواقع الجاهلي. وأولى الخطوات لتحقيق ذلك هي "أن نستعلي على هذا المجتمع الجاهلي وقيمه وتصوراته، وألا نعدِّل في قيمنا وتصوراتنا قليلاً أو كثيرًا لنلتقي معه في منتصف الطريق.كلا ! إننا وإياه على مفرق الطريق، وحين نسايره خطوة واحدة فإننا نفقد المنهج كله ونفقد الطريق!".

ومن أجل تغيير ما بالنفس، ومن أجل أن يحيا المؤمن حياة إسلامية، ومن أجل أن ينجو بنفسه لا بد له من الانفصال عقيديا وشعوريا منهج حياة عن أهل الجاهلية من قومها حتى يأذن الله لها بقيام دار إسلام تعتصم بها، "وإلا أن تشعر شعورا كاملا بأنها هي الأمة المسلمة وأن ما حولها ومن حولها ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه؛ جاهلية وأهل جاهلية"[1].

ومن أخطر ما قال سيد قطب توضيحا لمعنى الانعزال تعليقه على قوله تعالى: ﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ (يونس: ٨٧) أن الله عز وجل يرشد إلى: "اعتزال الجاهلية بنتنها وفسادها وشرها – ما أمكن في ذلك – وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها، لتطهرها وتزكيها، وتدربها وتنظمها، حتى يأتي وعد اللّه لها. واعتزال معابد الجاهلية واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد. تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي، وتزاول فيها عبادتها لربها على نهج صحيح وتزاول بالعبادة ذاتها نوعا من التنظيم في جو العبادة الطهور"[2]. وهنا تظهر جليا دعوة قطب رحمه الله إلى مخاصمة

(١) في ظلال القرآن، (دار الشروق، القاهرة، د.ت) ٣/٧٤.

(٢) سيد قطب، فى ظلال القرآن، ٣/ ١٨١٦.

المجتمع، بمساجده أيضا. وهذا يعني أن المجتمع ومساجده ليست من الإسلام في شيء.

هكذا نجد أن مفهوم الجاهلية عرف تطورا مهما من حيث الدلالة والأبعاد. لم يعد ذلك المفهوم البريء الذي ظهر مع ابن تيمية، والذي يحفز الناس على الارتقاء والسمو بالنفس وتهذيبها والإقبال على الطاعات وتجاوز المنهيات والمنكرات، بل أصبح مفهوما يدعو إلى نبذ المجتمع ومقاطعته والتبرئ منه. من هنا ظهر التكفير الذي تبنته مجموعة من الشباب والحركات، وكان له أوخم العواقب على حياة الناس وعلى دين الله.

٥- التكفير والهجرة[1]: نموذج حركي تنظيمي:

نضجت أفكار جماعة التكفير والهجرة، أو جماعة المسلمين كما سمت نفسها، في السجون المصرية وخاصة بعد اعتقالات عام ١٩٦٥ وبعد إعدام سيد قطب وإخوانه بأمر من جمال عبد الناصر. ويعتبر شكري أحمد مصطفى (أبو سعد) المزداد عام ١٩٤٢ أبرز شخصيات هذه الجماعة. وهو أحد شباب جماعة الإخوان المسلمين الذين اعتقلوا عام ١٩٦٥ لانتسابهم لجماعة الإخوان المسلمين، وكان عمره وقتئذ ثلاثة وعشرين عاماً. تولى قيادة الجماعة في داخل السجن بعد أن تبرأ من أفكارها الشيخ علي عبده إسماعيل أحد قادتها البارزين في السجن. وتمت مبايعته أميراً للمؤمنين وقائداً لجماعة المسلمين.

من خلال تسمية هذه الجماعة بـ"جماعة المسلمين" يُستنتج أن كل ما سوى هذه الجماعة فهو لا يمت بصلة إلى الإسلام. ولا عجب في ذلك ما داموا يحكمون بالجاهلية على غيرهم. وهذا ما جعل التكفير عنصرا أساسيا في

(١) ينظر: جيلز كيبل، النبي والفرعون، ترجمة أحمد خضر، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤٠٩-١٩٨٨) ص ٥٩-٩٤. وعبد الله بن محمد القرني، ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة (مرسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢-١٩٩٢) ص ٩٢-٩٧.

معتقدات هذه الجماعة. وهكذا، فإنهم:

- يكفرون كل من ارتكب كبيرة وأصر عليها ولم يتب منها.
- ويكفرون الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله بإطلاق ودون تفصيل.
- ويكفرون المحكومين لأنهم رضوا بذلك وتابعوهم أيضاً بإطلاق ودون تفصيل
- أما العلماء فيكفرونهم لأنهم لم يكفروا هؤلاء ولا أولئك.
- كما يكفرون كل من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله أو قبله ولم ينضم إلى جماعتهم ويبايع إمامهم. أما من انضم إلى جماعتهم ثم تركها فهو مرتد حلال الدم، وعلى ذلك فالجماعات الإسلامية إذا بلغتها دعوتهم ولم تبايع إمامهم فهي كافرة مارقة من الدين. ويحكي كيبل أن شكري زعم أنه "في حالة انضمام أحد الزوجين للجماعة ورفض الطرف الآخر، فإن رباط الزوجية الذي يجمع بينهما يصبح باطلا ومحرما يحل لعضو الجماعة أن يعقد زواجا"[1]. ويضيف كيبل قائلا: "وأكثر من هذا فإنها (أي الزوجة) إذا أرادت، تستطيع الزواج من أحد أعضاء الفرقة (يعني الجماعة)، لأن الروابط الزوجية الجاهلية ليست لها قيمة داخل جماعة المسلمين"[2].
- وكل من أخذ بأقوال الأئمة أو بالإجماع ولو كان إجماع الصحابة أو بالقياس أو بالمصلحة المرسلة أو بالاستحسان ونحوها فهو في نظرهم مشرك كافر.
- والعصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر وجاهلية لتقديسها لصنم التقليد المعبود من دون الله تعالى، فعلى المسلم أن يعرف

(١) جيلز كيبل، النبي والفرعون ص ٧٩.
(٢) نفسه.

الأحكام بأدلتها ولا يجوز لديهم التقليد في أي أمر من أمور الدين. وقول الصحابي وفعله ليس بحجة ولو كان من الخلفاء الراشدين.

وتعتبر الهجرة العنصر الثاني في فكر الجماعة، ويقصد بها العزلة عن المجتمع الجاهلي، وعندهم أن كل المجتمعات الحالية مجتمعات جاهلية. والعزلة المعنية عندهم عزلة مكانية وعزلة شعورية، بحيث تعيش الجماعة في بيئة تتحقق فيها الحياة الإسلامية الحقيقة كما عاش الرسول ﷺ وصحابته الكرام في الفترة المكية.

من هنا يجب على المسلمين في هذه المرحلة الحالية من عهد الاستضعاف الإسلامي أن يمارسوا المفاصلة الشعورية لتقوية ولائهم للإسلام من خلال جماعة المسلمين، أي التكفير والهجرة، وفي الوقت ذاته عليهم أن يكفوا عن الجهاد حتى يكسبوا القوة الكافية.

كما قالوا بترك صلاة الجمعة والجماعة بالمساجد؛ لأن المساجد كلها ضرار، وأئمتها كفار إلا أربعة مساجد: المسجد الحرام والمسجد النبوي وقباء والمسجد الأقصى، ولا يصلون فيها أيضاً إلا إذا كان الإمام منهم. وهذا يتفق مع قول سيد قطب السابق عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ (يونس: ٨٧).

إن هذه الأفكار والمعتقدات تجد مستندا لها في مؤلفات المودودي وسيد قطب رحمهما الله، وقد تمت الإشارة إلى بعض منها.

—٣—

هل يصح وصف المجتمعات المعاصرة بالجاهلية ؟

من خلال المبحثين السابقين يبدو أن وصف الجاهلية بإطلاق إنما هو

وصف لفترة ما قبل الإسلام، وأن إطلاق الجاهلية على المجتمعات الإسلامية المعاصرة إنما يعني تكفيرها والانعزال عنها. ولهذا الأمر انعكاس خطير على حياة المسلمين، بل يبدو أن فيه تحريفا وتشويها لشريعة الله عز وجل. نعم، قد يكون في سلوك فرد ما من المعاصي ما هو من الجاهلية، كذلك بعض السلوكات في المجتمع، لكن هذا لا يبرر إطلاق وصف الجاهلية.

في هذا المبحث أذكر آراء مجموعة من العلماء المحققين إجابة عن هذا السؤال. وهذه النماذج المختارة من بلاد إسلامية مختلفة جغرافيا كما سنرى، وكلها تتفق على عدم جواز وصف المجتمعات الإسلامية المعاصرة بالجاهلية.

- **العلامة الألباني[1] رحمه الله: لا جاهلية بعد الإسلام:**

يرى الألباني رحمه الله أن التسمية الشائعة "جاهلية القرن العشرين" لا تخلو من مبالغة في وصف القرن الحالي القرن العشرين. ويحتج لذلك بوجود الدِّين الإسلامي في هذا القرن وإن كان قد دخل فيه ما ليس منه. وهذا في رأيه يمنعنا من القول بأن هذا القرن يمثل جاهليةً كالجاهلية الأُولى.

ويقول موضحا: "نحن نعلم أن الجاهلية الأولى إن كان المعني بها العرب فقط: فهم كانوا وثنيين، وكانوا في ضلال مبين، وإن كان المعني بها ما كان حول العرب من أديان كاليهودية والنصرانية: فهي أديان محرفة، فلم يبق في ذلك الزمان دين خالص منزه عن التغيير والتبديل، فلا شك في أن وصف الجاهلية على ذلك العهد وصف صحيح، وليس الأمر كذلك في قرننا هذا، ما دام أن الله تبارك وتعالى قد منَّ على العرب أولاً، ثم على سائر الناس

(١) هو محمد ناصر الدين الألباني (١٣٣٣ هـ/ ١٩١٤م– ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ولد بألبانيا ثم هاجر مع أسرته إلى دمشق. يعتبر أحد أبرز العلماء المسلمين والمحدثين في العصر الحديث، برز في علم الجرح والتعديل وفي مصطلح الحديث. حلف مكتبة علمية ضخمة في علم الحديث والفقه وغيرهما. للتوسع ينظر محمد بن إبراهيم الشيباني، حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه (مكتبة السداوي، ط١، ١٤٠٧ – ١٩٨٧).

ثانياً، بأن أرسل إليهم محمداً ﷺ خاتم النبيين، وأنزل عليه دين الإسلام، وهو خاتم الأديان، وتعهد الله عز وجل بحفظ شريعته هذه بقوله عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩) ونبيه ﷺ قد أخبر أن الأُمة الإسلامية وإن كان سيصيبها شيء من الانحراف الذي أصاب الأُمم من قبلهم في مثل قوله ﷺ: "لتتبعن سَنَن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا: من هم يا رسول الله ؟ اليهود والنصارى ؟ فقال عليه الصلاة والسلام فَمَنِ الناس ؟!"[(١)].

إن الألباني رحمه الله يؤكد أنه، وإن كان الرسول ﷺ قد أخبر بهذا الخبر المفيد أن المسلمين سينحرفون إلى حد كبير ويقلدون اليهود والنصارى في ذلك الانحراف، فإنه عليه الصلاة والسلام في الوقت نفسه قد بشَّر أتباعه بأنهم سيبقون على خطه الذي رسمه لهم كما في الحديث الشريف المتفق عليه: "لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ"[(٢)].

بعد هذا يستنتج الألباني رحمه الله أنه مادامت هناك في هذه الأُمة "جماعة مباركة طيبة قائمة على هدي الكتاب والسنة، فهي أبعد ما تكون عن الجاهلية القديمة أو الحديثة؛ ولذلك أرى: أن إطلاق "الجاهلية" على القرن العشرين فيه تسامح، قد يُوهم الناس بأن الإسلام كله قد انحرف عن التوحيد وعن الإخلاص في عبادة الله عز وجل انحرافاً كليّاً، فصار هذا القرن – القرن العشرون – كقرن الجاهلية الذي بُعِثَ رسول الله ﷺ إلى

(١) الشيخ بكر أبو زيد، معجم المناهي اللفظية، (دار العاصمة، الرياض، ط٣، ١٤١٧–١٩٩٦) ص ٢١٢–٢١٣.

(٢) رواه البخاري في الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب، باب قول النبي ﷺ "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون"، ومسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ، مع اختلاف في اللفظ.

إخراجه من الظلمات إلى النور، حينئذ: هذا الاستعمال، أو هذا الإطلاق يحسن تقييده في الكفَّار أولاً، الذين قال تعالى في شأنهم: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الاخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة: ٢٩)"[١].

لذا فإن وصْف القرن العشرين بـ "الجاهلية"، كما عند سيد قطب رحمه الله، إنما، ينطبق على غير المسلمين الذين لم يتبعوا الكتاب والسنَّة. أما إطلاقه على المسلمين ففيه إيهام بأنه لم يبق في المسلمين خير، وهذا خلاف ما سبق بيانه. والأحاديث كثيرة في هذا الباب.

ثم يلتمس الشيخ الألباني رحمه الله العذر لسيد قطب رحمه الله في مذهبه هذا ويرى أنه كان قد أصابه شيء من التحمس الزائد للإسلام في سبيل توضيحه للناس، ويقول موضحا: "ولعل عذره في ذلك أنه كان يكتب بلغة أدبية؛ ففي بعض المسائل الفقهية كحديثه عن حق العمال في كتابه: "العدالة الاجتماعية" أخذ يكتب بالتوحيد، وبعبارات كلها قوية تحيي في نفوس المؤمنين الثقة بدينهم وإيمانهم، فهو من هذه الخلفية في الواقع قد جدّد دعوة الإسلام في قلوب الشباب، وإن كنَّا نلمس أحياناً أن له بعض الكلمات تدل على أنه لم يساعده وقته على أن يحرر فكره من بعض المسائل التي كان يكتب حولها أو يتحدث فيها، فخلاصة القول أن إطلاق هذه الكلمة على العصر الحاضر لا يخلو من شيء من المبالغة التي تدعو إلى هضم حق الطائفة المنصورة، وهذا ما عنَّ في البال فذكرته"[٢].

(١) نفسه ص ٢١٣.

(٢) نفسه ص ٢١٤-٢١٥.

- **الشيخ صالح بن فوزان الفوزان**[1]:

وسئل هل يجوز إطلاق لفظ "الجاهلية" على المجتمعات الإسلامية المعاصرة؟ فأجاب: "الجاهلية العامة قد زالت ببعثة الرسول ﷺ؛ فلا يجوز إطلاقها على المجتمعات الإسلامية بصفة العموم، وأما إطلاق شيء من أمورها على بعض الأفراد، أو بعض الفِرق، أو بعض المجتمعات: فهذا ممكن، وجائز، وقد قال النبي ﷺ لبعض أصحابه: "إنك امرؤٌ فيك جاهلية"، وقال ﷺ: "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة"[2].

- **الشيخ عبد السلام ياسين**[3]:

يستنكر الشيخ عبد السلام ياسين وصف المجتمعات الإسلامية بالجاهلية مع ما قد يكون بها من انحرافات، وحتى الحكام على ما قد يكون عليه بعضهم من سوء، فيقول مثلا: "أفَإن وُجد من بين المسلمين، من حاكم طاغ ومتبرجات ومنافقين، من هم من أهل النار، نحكم أن الأمة كلها جاهلية ؟... ديننا وتاريخ إقامته، وحديث النبي وصحابته، وسيرة الانتقال الأول على عهد

(١) هو صالح بن فوزان بن عبدالله من آل فوزان، العلامة الفقيه، من منطقة القصيم بأرض الحجاز. ولد عام ١٣٥٤هـ. تلقى العلم على يد كبار شيوخ العالم الإسلامي. عضو في المجمع الفقهي بمكة المكرمة التابع لرباطة العالم الإسلامي، وعضو في لجنة الإشراف على الدعاة في الحج، و إمام و خطيب. له عدد من المؤلفات العلمية في الفقه والعقيدة تجاوزت الثلاثين مؤلفا. ينظر موقعه على شبكة الأنترنيت: www.alfawzan.ws.

(٢) الفوزان، الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة جمع وترتيب وتعليق الشيخ جمال بن فريحان الحارثي، (مكتبة الأصالة الأثرية، دار المنهاج، القاهرة، ط٣، ١٤٢٤) (٨٦، رقم السؤال: ٣١).

(٣) هو عبد السلام ياسين، ولد بمراكش سنة ١٣٤٧هـ– ١٩٢٨م. تقلد مجموعة من الوظائف بسلك التعليم. اشتهر برسالة النصيحة "الإسلام أو الطوفان" التي كتبها إلى المرحوم الملك الحسن الثاني. وهو مرشد جماعة العدل والإحسان بالمغرب. ويرى أن التربية أساس التغيير..له مجموعة من المؤلفات ذات الروح التجديدية، أهمها المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، وهو خطة عمل الجماعة. ينظر موقعه على شبكة الأنترنيت: www.yassine.net

التنزيل من جاهلية لإسلام، تُنبئُنا أن الإسلام ما كان يوما بقعة منعزلة فيها ملائكة أطهار تقابلها بقعة أخرى منعزلة تعيش فيها الشياطين الكفار. نعم، من دخل حوزة لا إله إلا الله معترفا شاهدا بوحدانيته، مصدقا بنبوة محمد ﷺ مومنا برسالته، فقد دخل الإسلام وخرج من الكفر"[1].

ويضيف الاستاذ عبد السلام ياسين مستنكرا: "لكن هل سلم ضَرْبَةَ لاَزِب من بقايا الجاهلية ورُسوباتها، وهل طَهُر المجتمع الإسلامي الأول من كل دخائل الجاهلية حتى ننتظر من مجتمع اليوم وغد أن يدلي ببراءة ملائكية وإلا فهو كفر وجاهلية وبدعة وضلالة ؟"[2].

وهنا لا ينكر الأستاذ ياسين أن تكون في المجتمعات الإسلامية وفي بعض أنظمتها الحاكمة بعض أمور من الجاهلية، لكن ذلك لا يجوّز وصفها بالجاهلية مادامت على دين الإسلام وتشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمد رسول الله.

ولعل من حق القارئ أن يسأل: إذا لم نصف المجتمع الإسلامي المعاصر بالجاهلية، فبماذا نصفه؟ وهو غير خالص الإسلام؟

أقتطف هنا كلاما للأستاذ عبد السلام ياسين يعطي وصفا مستنبطاً من القرآن والسنة النبوية لما عليه المسلمون اليوم حين يقول: "متى اختلط الحق بالباطل، ودخل الإسلام على الجاهلية فبقي منها رواسب، أو أعادت الجاهلية كرتها على الإسلام فعكرت صفوه، فتلك "الفتنة". الفتنة مفهوم محوري، لفتنة حكم نبوي، الفتنة تحفّظ وحكمة ولزوم لجانب التحري والصواب"[3].

وقد وردت مادة "فتن" في القرآن الكريم ستين مرة. وقال الراغب الأصبهاني في تعريفها: "أَصل الفَتْن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من

(١) عبد السلام ياسين، تنوير المومنات (مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٦) ١٥٢/١-١٥٣.
(٢) نفسه ١٥٣.
(٣) عبد السلام ياسين، العدل.. الإسلاميون والحكم (مطبوعات الصفاء للإنتاج، ط١، ٢٠٠٠) ص ٤٨٨.

رداءته، واستعمل في إدخال الإنسان النار... وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء. وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالا"[1].

قال ابن فارس: "الفاء والتاء والنون أصلٌ صحيح يدلُّ على ابتلاء واختبار"[2].

وجمع ابن الأَعرابي معاني الفتنة في قوله: "الفِتْنة الاختبار، والفِتْنة المِحْنة، والفِتْنة المال، والفِتْنة الأَوْلادُ، والفِتْنة الكُفْرُ، والفِتْنةُ اختلافُ الناس بالآراء، والفِتْنةُ الإِحراق بالنار"[3]. وهذه معان وردت في القرآن الكريم.

وقال ابن منظور: "والفاتِنُ: المُضِلُّ عن الحق. والفاتن: الشيطان لأَنه يُضِلُّ العِبادَ، صفة غالبة"[4].

ويوجز حذيفة بن اليمان رضي اله عنه لنا تعريف الفتنة فيقول: "إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق بالباطل"[5]. ويبدو أن الأستاذ عبد السلام ياسين عنه أخذ مفهوم الفتنة.

ويَقُولُ رضي اللّه عنه أيضا: "بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ عُمَرَ إِذْ قَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ ؟ قَال: فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالامْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ.قَالَ: لَيْسَ عَنْ هَذَا أَسْأَلُكَ، وَلَكِنْ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ. قَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا. قَالَ عُمَرُ: أَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ ؟

(١) الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن مادة "فتن".
(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة مادة "فتن".
(٣) ابن منظور، لسان العرب مادة "فتن".
(٤) نفسه.
(٥) أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، (مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ) ٤٦٨/٧.

قَالَ: بَلْ يُكْسَرُ. قَالَ عُمَرُ: إِذًا لا يُغْلَقَ أَبَدًا. قُلْتُ: أَجَلْ..." [1].

إن كلام حذيفة رضي الله عنه هذا يبين أن الفتنة ذات بعدين: بعد فردي يهم الفرد وحده وما يكسبه من محيطه. وبعد جماعي يهم الأمة كلها. وهو هنا يتحدث عن الفتن التي أصابت المسلمين خلال عهدي علي ومعاوية رضي الله عنها وما بعدهما.

هكذا إذن يرفض الأستاذ ياسين وصف المجتمعات الإسلامية وأنظمتها بالجاهلية مادامت تنتسب إلى الإسلام، ويقترح وصفها بالمفتونة. وهو وصف في نظره نبوي يعني اختلاط الحق بالباطل.

هذه النماذج من الآراء تبين عدم جواز إلصاق وصف الجاهلية بالمجتمعات الإسلامية، كما تبين خطر ذلك، لأن فيه الكثير من التجوز والمبالغة. إنه يؤدي إلى تكفير موحدين لله عز وجل، بل يؤدي إلى انتهاك حرمات الشرع والإنسان.

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر حديث رقم ٧٠٩٦.

خاتمة

تتضمن هذه الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وكذلك بعض التوصيات:

أولا: نتائج البحث

- عرض هذا البحث لجذور القول بالجاهلية في التراث الإسلامي. ومع أن مفهوم الجاهلية عند دارسيه الأوائل، كشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله، لم يكن يعني الواقع الإسلامي المعاصر، فإن من أتى بعدهما كالمودودي وسيد قطب رحمهما الله، جعله وصفا منطبقا على المجتمعات الإسلامية وأنظمة الحكم فيها.
- إن القول بالجاهلية أدى إلى الاستعلاء والانعزال عن المجتمع وتكفيره. وكتابات سيد قطب رحمه الله مليئة بهذه الإشارات كما بين البحث.
- تعتبر جماعة التكفير والهجرة، أو جماعة المسلمين، التجسيد العملي والتنظيمي لعلاقة الجاهلية بالتكفير. وقد رأينا كيف أدى وصف المجتمع بالجاهلية عندهم إلى الحكم بتكفير المجتمع بأكمله، بل لكل من يخالفهم في الرأي. وقد أدى هذا إلى إزهاق أرواح مؤمنة بالله تعالى وبرسوله ﷺ.
- عرض البحث لآراء مجموعة من العلماء المحققين حول وصف المجتمعات الإسلامية بالجاهلية، واتفقت على عدم جواز ذلك رغم ما قد يشوب هذه المجتمعات من انحرافات وضلال. وتم تأصّل هذا الموقف، كما عند الألباني رحمه الله، اعتمادا على سنة النبي ﷺ.
- بدل وصف المجتمعات الإسلامية بالجاهلية يقترح الشيخ عبد السلام

ياسين وصفها بالمفتونة؛ ذلك أن الفتنة، في نظره، أدق وصف لما يعنيه من اختلاط الحق بالباطل وهو حقيقة ما عليه مجتمعات المسلمين اليوم. وهذا وصف قرآني نبوي.

ثانيا: التوصيات:

- أدعو العلماء والدعاة والمفكرين إلى مزيد البحث والنظر في مفهوم الجاهلية وكثرة التأليف فيه، مع بيان خطر القول به المتمثل في تكفير الناس والانعزال عنهم لأنه مخالف لسنة الحبيب ﷺ.
- تحصين الشباب المسلم بتبصيره بعواقب الحماس الزائد في التشبث ببعض المفاهيم غير المناسبة للواقع المعاصر، كالجاهلية مثلا؛ وذلك بإشاعة معاني الرحمة النبوية الشريفة التي كانت سلوكه مع المسلمين وغيرهم.
- الإكثار من التأليف والمحاضرة في موضوع التكفير ببيان عواقبه على الفرد والمجنمع في الدنيا والآخرة.
- تشجيع الحوار مع القائلين بالتكفير بمجادلتهم بالتي هي أحسن، ودعوتهم إلى التعمق في سنة الحبيب ﷺ.
- تأسيس فريق مهمته تتبع القول بتكفير الناس أينما كان ودحض مرتكزاته التي يقوم عليها.

والله أعلم بالصواب.

لائحة المراجع المعتمدة

- ابن تيمية حياته وعصره، آراؤه وفقهه، محمد أبو زهرة، (دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت).
- أبو الأعلى المودودي، عصره حياته دعوته، أليف الدين الترابي، (دار القلم للنشرلا والتوزيع،الكويت، ط١، ١٤٠٧–١٩٨٧).
- أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ الدين وإحيائه، ترجمة محمد كاظم سياق، (دار الفكر الحديث، لبنان، ط٢، ١٣٨٦–١٩٦٧).
- الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة، صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، جمع وترتيب وتعليق الشيخ جمال بن فريحان الحارثي، (مكتبة الأصالة الأثرية، دار المنهاج، القاهرة، ط٣، ١٤٢٤).
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق ناصر بن عبد الكريم العقل، (مكتبة الرشد، الرياض، د.ت).
- البخاري، صحيح البخاري، (بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، ١٤١٩–١٩٩٨).
- التحرير والتنوير، ابن عاشور، (دار سحنون، تونس،د.ت).
- تفسير الطبري، ابن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، (دار المعارف، مصر).
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد السلامة، (دار طيبة، ١٤٢٢–٢٠٠٢).
- تنوير المومنات، عبد السلام ياسين، (مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٦).
- الجامع الأعظم.. محمد الطاهر ابن عاشور.. حياته وآثاره، بلقاسم الغالي، شيخ

(دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧–١٩٩٦).

- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (دار الفكر، د.ت).
- حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، محمد بن إبـراهيم الـشيباني، (مكتبـة الـسداوي، ط١، ١٤٠٧ – ١٩٨٧).
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت).
- سيد قطب والأصولية الإسلامية، شريف يونس، (دار طيبة للدراسات والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٥).
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢–٢٠٠١).
- سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب، أمين سعيد، (شركة التوزيع العربية، ط١، بيروت).
- صحيح الترغيب، الألباني، (مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢١).
- صحيح الجامع، الألباني، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨).
- صحيح مسلم، مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت).
- ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن محمد القرني، (مرسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢–١٩٩٢) ص ٩٢–٩٧.
- العدل.. الإسلاميون والحكم، عبد السلام ياسين، (مطبوعات الصفاء للإنتاج، ط١، ٢٠٠٠).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (دار الريان، بيروت، ١٤٠٧).
- في ظلال القرآن، سيد قطب، (دار الشروق، القاهرة، د.ت) ٧٤/٣.
- لسان العرب، ابن منظور، (دار صادر، بيروت، د.ت).
- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين، ابن عثيمين، جمع وترتيب فهد بن

ناصر السليمان، (دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩–١٩٩٨).

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، شرح وتعليق أحمد جاد المولى بك وغيره، (دار التراث، القاهرة، ط٣، د.ت).
- مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية، محمد بن عبد الوهاب، توسع فيها محمود شكري الالوسي، (المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧).
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠).
- المسند، الإمام أحمد بن حنبل، (دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ).
- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، (مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ).
- معالم في الطريق، سيد قطب، (دار الشروق، بيروت، ١٩٩٣).
- معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد، (دار العاصمة، الرياض، ط٣، ١٤١٧–١٩٩٦) ص ٢١٢–٢١٣.
- مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م).
- النبي والفرعون، جيلز كيبل، ترجمة أحمد خضر، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤٠٩–١٩٨٨).